نظريـــة التلقي

تمهيد :

أخذ الاهتمام بالنص حيزا كبيـرا مع المناهج النقدية النسقية بداية من البنيوية ، فقد قامت هذه المناهج على التركيـز على النص باعتباره مجموعـــة من البنيات الداخليـة المغلقـــة ، وأبعدت العناصر الأخرى التي تقع خارج النص كالسياق والقارئ الذي أخذ الاهتمام به يبرز مع نظريات ما بعـد الحداثـــة كالتأويليـة والتداوليات والنقد الثقافي ... ، وقد جاء الاهتمام بالقارئ " كرد فعل على إهمال السياق الخارجي ، وصب الاهتمام على النص ذاته (مقولة النقد الجديد) ، فجاء نقد التلقي أو الاستقبال ليقلب المقولة تماما ويركز على سياقات النص المتعددة التي تفضي إلى إنتاجه واستقباله أو تلقيه ، من هنا كان استقبال النص يستتبع الاهتمام بالقارئ وبعملية القراءة ، وتحديد معنى النص وتأويله ، ولئن كانت هذه العناصر جزءا من العملية النقدية عموما ، فإن أهمية القارئ وهويته لم تكن إشكالية في السابق " .

إن المناهج النقدية النسقية مع تركيزها على النص واهتمامها به ، لم تغفل القارئ كلية ، فقد ظهر نوع من الاهتمام به مع بعض أعلامها أمثال تودوروف وجاك دريدا وجوليا كريستيفا ورولان بارت ، كما أشار بعض رواد الحداثة الغربيين إلى القارئ وأولوه اهتماما كإدغار ألان بو ، وشارل بودلير ، وفاليري ، وترتبط نظريات القراءة ببعض الأسماء الألمانية خاصة التي قامت على مقولات الناقد البولندي رومان إنغاردن ، أمثال فولفغانغ أيزر ، وهنز روبرت ياوس ، وبعض الأسماء الأمريكية كنورمان هولاند ، وجيرالد برنس ، و غيرهم.

1-الأصول االمعرفية لنظرية التلقي :

لم تنشأ نظرية التلقي من فراغ ، بل هي نظرية نقدية لها أصولها المعرفية ومرجعياتها الفلسفية ، وقد حصر الدارسون العوامل المؤثرة في تطور هذه النظرية في خمسة تأثيرات هي : الشكلانية الروسية ، الحلقة اللسانية لمدرسة براغ ، سوسيولوجيا الأدب ، ظاهرية رومان إنغاردن ، تأويلية هانز جورج غادامير .

فالأصول الفلسفية لنظرية التلقي تعود إلى فلسفتين عرفتهما ألمانيا خاصة ، وهما الفلسفة الظاهرتية والفلسفة التأويلية .

1-1 الفلسفة الظاهرتية :

ترتبط نظرية التلقي بالظاهرتية ارتباطا وثيقا ، لأن أغلب المفاهيم التي جاءت بها هذه الفلسفة عن طريق أعلامها وأبرزهم هوسرل وإنغاردن قد تحولت إلى أسس نظرية ومفاهيم إجرائية .

إن معنى أي ظاهرة خارجية في الوجود هو خلاصة الفهم الخالص ، وهو ما يسميه أصحاب الفلسفة الظاهرتية المتعالي ، وذهبوا ألى أن النص الأدبي ينطوي على بنيتين ، بنية ثابتة (نمطية) هي أساس الفهم ، وبنية متغيرة (مادية) وهي تشكل الأساس الأسلوبي للعمل الأدبي ، وتعد هذه الفكرة مرتكزا لجمالية التلقي التي جعلت لمتلقي ركنا أساسيا في إدراك العمل الأدبي .

1-2 التأويلية (الهرمينوطيقا) :

أفادت نظرية التلقي من أراء الفيلسوف هانز جورج غادامير في مفهوم التأويل الذي ارتبط عنده بالاهتمام باكتشاف المعنى ، وقد استفاد أصحاب نظرية التلقي من مقولاته في التأويل وعملية الفهم خاصة التركيز على القارئ باعتباره قوة فاعلة في عملية الفهم والتأويل ويحاول أن يجعل من هذه العملية عملية موضوعية .

2- أهم أسس نظرية التلقي :

- مصطلح التلقي مصطلح واحد يحمل داخله مفهومين لكل واحد منهما إجراءاته ، فهما شقان مختلفان ومتكاملان ، وهما جمالية التلقي (الاتجاه الذي وضعه هانز روبرت ياوس وركز فيه على المتلقي وعلاقته بالتاريخ ، ولا يقصد تاريخ نص الوقائع الأدبية ، إنما التاريخ الذي يعمل كمقياس لقياس التأثيرات التي يولدها عمل ما عند جمهور ما) ، وجمالية التأثير (الاتجاه الذي وضعه فولفغانغ أيزر وركز فيه أساسا على التفاعل بين النص والقارئ) .
- نظرية التلقي مصطلح شامل يؤلف بين مشروعي أيزر وياوس .
- يرى أيزر أن العمل الأدبي يقوم على قطبين ، قطب فني : هو النص الذي أبدعه المؤلف ، وقطب جمالي : هو عملية تجسيد القارئ وتحقيقه للنص ، وهو مايجعل علاقة القارئ بالنص علاقة إبداع لا علاقة اتباع .
- ربط ياوس القطب الفني بالبعد التاريخي ، لأن " الأعمال الأدبية تظل كما هي دون تغيير ، بينما تتغير التفسيرات التي تدور حولها ، بل لأن النصوص والتقاليد الأدبية تتكون بذاتها حسب آفاق التلقي المتعددة التي تتعرض لها عبر التاريخ ، وهذا المحك هو ما يطلق عليه ياوس أفق التوقعات أو آفاق التوقع لدى جمهرة القراء في عصور مختلفة ".
- لقد جعل كل من أيزر وياوس القارئ مشاركا في عملية إنتاج النص ، فهذا الأخير لا يصرح لقرائه بكل شيء ، وإنما هناك فجوات أو فراغات ينبغي أن يملأها القارئ ويصل بذلك إلى دلالاته ، لذلك فإن النص متعدد بتعدد قرائه ، والدلالات التي يمنحها كل واحد منهم - حسب أيزر - ، ومتعدد حسب آفاق التوقع لدى القراء عبر عصور مختلفة – حسب ياوس -.

3- أفق الانتظار :

من المفاهيـــم الإجرائيـة التي طرحـها يـاوس ، مستثمـرا مفهـوم الأفـق التاريـخي من غادامير وخيبة الانتظار من كارل بوبر ، ويقصد بأفق الانتظار ما يتوقعه القارئ من النص الأدبي ، وهو ما تتدخل فيه ثقافة القارئ ومرجعياته وتعليمه وقراءاته السابقة ... ، كما يشير ياوس إلى التجربة المسبقة التي اكتسبها الجمهور عن الجنس الذي ينتمي إليه النص عبر التاريخ .

4- القارئ الضمني :

من المصطلحات التي جاء بها أيزر ، بعد أن صنف القراء ، وقد استعمله ليصف التفاعل بين القارئ والنص ، وهو قارئ افتراضي يخلقه النص ليصبح حقيقيا أثناء عملية القراءة ، فهو عملية تكوين نصي للمعنى المحتمل ، وتحقيق المعنى بالقراءة والتفاعل بين النص ومتلقيه .